الفصل العاشر

اختلاف المسيحيين الأوائل فى صلب المسيح

مقدمة

لا حرج علينا أن نتذكر بين الحين والحين أن أقدم الأسفار المسيحية التى تقررت قانونيتها بعد قرون من كتابتها كانت رسائل بولس ، هذا الذى ما كان قط من تلاميذ المسيح ولم يره ولو مرة واحدة فى حياته .

ويرجع تاريخ أقدم رسالة أملاها بولس ـ وخاصة رسالته إلى أهل كورنثوس ـ إلى أكثر من ٢٠ عاماً مضت بعد رفع المسيح .

كذلك سطر مرقس إنجيله ـ الذى يعتبر أقدم الأناجيل ـ بعد أكثر من ٣٥ عاماً خلت بعد رفع المسيح ـ ومن هذه الرسائل والأسفار القانونية ومن غيرها من الكتب المسيحية التى لم تحظ بتلك القانونية بيد أنها بقيت موضع اعتبار فى التعاليم المسيحية ، نستطيع أن نتبين مقدار الاختلاف الذى وقع فيه قدامى المسيحيين فى صلب المسيح .

لقد اختلفوا فى صلب المسيح كحادث وقع ، فقد وجد بينهم من أنكر تعرض المسيح لعملية صلب .

كذلك اختلف قدامى المسيحيين فى نظرية الصلب التى روج لها المروجون فيما بعد ـ وعلى رأسهم بولس ـ باعتبارها تكفيرا عن خطايا الآخرين ، فرفضو تلك النظرية وتجاهلوها تماماً .

ولا يزال لهذه الإختلافات صدى يتردد فى الفكر المسيحى حتى الآن .

*

اختلاف المسيحيين الأوائل فى حادث الصلب

يقول مرقس عن المصلوب : « بعد ما استهزأوا به نزعوا عنه الارجوان وألبسوه ثيابه ثم خرجوا به ليصلبوه .

فسخروا رجلا مجتازا كان آتيا من الحقل وهو سمعان القيروانى أبو الكسندروس وروفس ليحمل صليبه .. وكانت الساعة الثالثة فصلبوه — ١٥ : ٢٠ — ٢٥ » .

ويقول نينهام فى تعليقه على هذه الفقرة : « من الواضح أن الكنيسة التى كتب لها القديس مرقس انجيله كانت تعرف هذين الشخصين (الكسندروس وروفس) جيدا ، ولهذا لم يكن هناك داع للحديث عنهما بأكثر من ذلك . ويبدو أن الغرض من هذه الفقرة هو ضمان صحة القصة التى تقول بأن سمعان قد حمل الصليب ، وما من شك فى أن أحد الأسباب فى الحفاظ على هذه التفاصيل الشخصية فى الإنجيل، كان الغرض منه تذكير القراء بأن لديهم مصدرا للمعلومات عن الصلب جدير بالثقة ..

ولعل السبب فى حذف هذه الرواية والخاصة بحمل سمعان القيروانى للصليب — من إنجيل يوحنا ، هو أنه فى الوقت الذى كتب فيه الإنجيل الرابع (١٠٠ — ١٢٥م) كان الإدعاء بأن سمعان قد حل محل يسوع وصلب بدلا منه ، لا يزال ساريا فى الدوائر الغنوسطية التى كانت لها الشهرة فيما بعد »(٦٨) .

فمن الملاحظ أن الأناجيل الثلاثة قد ذكرت أن سمعان القيروانى كان هو حامل الصليب (متى ٢٧ : ٣٢ ، ومرقس ١٥ : ٢١ ، ولوقا ٢٣ : ٢٦) ، بينما يذكر الإنجيل الرابع ما يخالف هذا فيقول . « فأخذوا يسوع ومضوا به فخرج وهو حامل صليبه إلى الموضع الذى يقال له موضع الجمجمة . . حيث صلبوه - يوحنا ١٩ : ١٦ — ١٨ » .

*

(٦٨) المرجع ٦ — ص ٤٢٢

كذلك يقول متى : « وفيما هم خارجون وجدوا إنساناً قيروانيا اسمه سمعان فسخروه ليحمل صليبه ..

ولما صلبوه اقتسموا ثيابه .. ثم جلسوا يحرسونه هناك ..

وفى الغد (بعد الصلب والدفن) الذى بعد الاستعداد ، اجتمع رؤساء الكهنة والفريسيون إلى بيلاطس قائلين . يا سيد قد تذكرنا أن ذلك المضل قال وهو حى إنى بعد ثلاث أيام أقوم . فمر بضبط القبر إلى اليوم الثالث لئلا يأتى تلاميذه ليلا ويسرقوه ويقولوا للشعب أنه قام من الأموات . فتكون الضلالة الأخيرة أشر من الأولى .

فقال لهم بيلاطس عندكم حراس . اذهبوا واضبطوه كما تعلمون . فمضوا وضبطوا القبر بالحراس وختموا الحجر ـ ٢٧ : ٣٢ ـ ٦٦ » .

ويقول جون فنتون فى تعليقه على هذة الفقرة : « لقد كانت عبارة مرقس التى تلت (ما قيل عن اقتسام الثياب والاقتراع عليها) هى :وكانت الساعة الثالثة فصلبوه .

لكن متى يغير هذا إلى قوله : ثم جلسوا يحرسونه .

لاحظ كذلك اضافة الكلمات : الذين يحرسون يسوع ـ فى العدد ٥٤ ، ولعل السبب فى أن متى يضيف هذه الكلمات التى تتكلم عن حراسة يسوع ، أثناء الصلب وما بعده (٢٧ : ٦٢ ـ ٦٦ ، ٢٨ : ٤ ، ١١ ـ ١٥) **إنما يرجع إلى وجود اناس قالوا بأن يسوع قدأنزل من على الصليب قبل أن يموت .**

كذلك فإن إحدى الطوائف الغنوطسية التى عاشت فى القرن الثانى ، قالت بأن سمعان القيروانى قد صلب بدلا من يسوع . فلعل متى كان يرد على هذه الأقوال »(٦٩) .

*

---

(٦٩) المرجع ٧ ـ ص ٤٤٠

فمن ذلك نتبين أنه فى الفترة التى أعقبت رفع المسيح حتى كتابة الأناجيل قد وجد بين قدامى المسيحيين جماعات تنكر صلب المسيح وتؤمن بأن شخصا آخر قد صلب بدلا منه .

كذلك وجدت جماعات اخرى تقول بانه لم يمت على الصليب وانما انزل حيا وهذا ما قاله الفيلسوف الالمانى فنتيورينى فى بداية القرن التاسع عشر حيث خلص من دراسة لما قيل عن الصلب والدفن الى ان « يسوع قد اغمى عليه فقط ، ثم افاق فيما بعد نتيجة لبرودة القبر المنحوت فى الصخرة »(٧٠) .

ولا شك أن قوة تلك الجماعات وذيوع معتقداتها فى نجاة المسيح من القتل ، كانت هى السبب الرئيسى الذى منع كتبة الأناجيل من تجاهلها ، واضطرهم إلى الرد عليها بما يتفق وتعاليم بولس التى سطرها فى رسائله قبل أن يكتب أقدم الأناجيل بأكثر من ١٥ عاما ، تلك التعاليم التى لم تعرف فى المسيحية شيئاً سوى الصلب .

★★★

اختلاف المسيحيين الأوائل فى نظرية الصلب

لقد كانت نظرية صلب المسيح كفارة عن الخطايا ، هى إنجيل بولس الذى جال يبشر به فى طول العالم الرومانى وعرضه ، فلم ير بولس فى رسالة المسيح شيئاً غير هذا .

لكن هذا التعليم الذى تبناه بولس وجعل محوره صلب المسيح وجد له مقاومه جماعية ورفضا تاما وهو الشىء أثبته بولس فى رسائله فقد قال فى رسالته الثانية إلى تيموثاوس :

« انت تعلم هذا . أن جميع الذين فى آسيا ارتدوا عنى ـ ١ : ١٥ »

وقال بولس فى رسالته إلى أهل غلاطية :

---

(٧٠) المرجع رقم ١٢ ـ ص ٦٤

Frank Morison : WHO MOVED THE STONE

« انى أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعاً عن الذى دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر ليس هو آخر غير أنه يوجد قوم يزعجونكم ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح .

ولكن ان بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم ، فليكن أناثيما ـ ١ : ٦ ـ ٨ » .

*

ويشير أدولف هرنك إلى حقيقة خلو بعض الرسائل المسيحية الهامة من أى ذكر للصلب ونظرية الفداء والكفارة ، فيقول :

« لا يوجد فى أى مكان من تعاليم الاثنى عشر ، أى ذكر للخلاص الذى يقدمه المسيح ، وحتى إعلال الإنجيل (المتعلق بموته وقيامته) لم يلاحظ شىء عنه .

أن كتابات هرمس المطولة تبين أن ذلك لم يكن حادثاً وقع ولا يوجد فيها أى ذكر على الاطلاق لميلاد يسوع وموته وقيامته .. إلخ ، رغم أن المؤلف كانت عنده المناسبة التى يذكر فيها ذلك .

إنه يصف عمل يسوع بأنه :

١ ـ حفظ الشعب الذى اختاره الله .

٢ ـ تنقية الشعب من الخطية .

٣ ـ تعريفهم طريق الحياة ونشر الناموس الإلهى »(٧١) .

إن كتاب هرمس هذا « كان ايرنيوس يقتبس منه باعتباره واحدا من الكتب (المقدسة) ، وأعتقد أوريجين أنه من أكثر الكتب فائدة وأنه كتب بوحى إلهى ، ويقرر ايزبيوس أنه على الرغم من عدم قانونيته ، فقد كان يقرأ علانية فى الكنائس ، وهو الأمر الذى عززه جيروم ، وكذلك نجد أثناسيوس ينقل عنه ويعتبره أهم عمل ذا فائده »(٧٢) .

---

(٧١) المرجع ١٣ ـ الجزء الأول ـ ص ٢٠١

(٧٢) المرجع رقم ٢ ـ ص ١٩٧

ولقد جاء فى الكتاب الثالث لهرمس ـ الذى أشار إليه هرنك ـ على لسان الملاك : « أن الصوم الحقيقى هو : لا تفعل شرا ، ولكن اخدم الرب بفكر طاهر ، واحفظ وصاياه وسر حسب فرائضه ولا تجعل أى فكرة شريرة تدخل قلبك . ولكن ثق فى الرب انك لو تفعل هذه الأشياء وتخشاه وتمتنع عن كل شر ، فإنك سوف تعيش لله .

لو تفعل هذا فإنك تصوم صوما عظيما ، صوما يقبله الرب ـ٥ : ٥ـ٧»

ومن الحقائق البارزة فى مجال الحديث عن إسقاط بعض الرسائل المسيحية الهامة لكل ما يقال عن الصلب ـ سواء باعتباره حادثا وقع ، أو برؤيته وسيلة للخلاص ، حسبما تقول فلسفة الفداء والكفارة ـ ما نجده فى رسالة يعقوب التى هى إحدى الرسائل القانونية التى يشتمل عليها العهد الجديد ، ويستطيع القارىء مراجعتها بنفسه .

فهذه الرسالة تسقط أيضاً كل ما يتعلق بالصلب والقيامة ، بل انها لتقرر بوضوح طريق الخلاص والديانة الحقة فتقول أنه : إيمان بالله وعمل صالح ، كما سنرى فيما بعد .

* * *

الخلاص الحق لا علاقة له بالصلب

أن الخلاص الحق الذى ذكره يعقوب وهرمس ـ بعيدا عن كل مايقال عن الصلب وسفك الدم كفارة عن الخطايا ـ قد ذكر أيضاً فى أسفار العهد الجديد التى اتفق على قانونيتها . والأمثلة على ذلك كثيرة ، نكتفى بذكر عدد محدود منها :

١ ـ بينما كان المسيح يسير خارجاً « إذا واحد تقدم وقال له أيها المعلم الصالح أى صلاح أعمال لتكون لى الحياة الأبدية .

فقال له لماذا تدعونى صالحاً . ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله .

ولكن إن أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا ، قال له أية الوصايا .

فقال يسوع لا تقتل . لا تزن . لا تسرق . لا تشهد بالزور . اكرم أباك وأمك وأحب قريبك كنفسك .

قال له الشاب هذه كلها حفظتها منذ حداثتى فماذا يعوزنى بعد .

قال له يسوع إن أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع أملاكك واعط الفقراء فيكون لك كنز فى السماء وتعال اتبعنى — متى ١٩ : ١٦ - ٢١ »

ومن الملاحظ أن المسيح قبل أن يجيب السائل إلى سؤاله فقد صحح له صيغة السؤال ، فنفى عن نفسه صفة الصلاح التى خلعها عليه السائل ، وردها إلى الله الذى تفرد فى ذاته وصفاته ، وهو الله الواحد الذى أرسل موسى وأنزل عليه الوصايا العشر (خروج ٢٠ : ١ - ١٧) .

٢ - وفى يوم الدينونة تكون النجاة بالعمل الصالح بعيداً عن الصلب وفلسفاته . فهناك « يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا .. رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم .

لأنى جعت فأطعمتونى . كنت غريباً فآويتمونى . عريانا فكسوتمونى مريضاً فزرتمونى . محبوساً فأتيتم إلى .

فيجيبه الأبرار حينئذ قائلين : يا رب متى رأيناك جائعا فأطعمناك . أو عطشانا فسقيناك . ومتى رأيناك غريبا فآويناك أو عريانا فكسوناك . ومتى رأيناك مريضاً أو محبوساً فأتينا إليك .

فيجيب الملك ويقول لهم الحق أقول لكم بما أنكم فعلتموه بأحد اخوتى الأصاغر فبى فعلتم .

ثم يقول أيضاً للذين عن اليسار اذهبوا عنى يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته .

لأنى جعت فلم تطعمونى .... حينئذ يجيبونه هم أيضاً قائلين يارب متى رأيناك جائعاً ..

فيجيبهم قائلا الحق أقول لكم بما أنكم لم تفعلوه بأحد هؤلاء الأصاغر فبى لم تفعلوا فيمضى هؤلاء إلى عذاب ابدى والأبرار إلى حياة أبدية — متى ٢٥ : ٣٤ - ٤٦ » .

هكذا يدان الناس : أهل البر والعمل الصالح إلى الحياة الأبدية ، وأهل

*

الشر والبخل إلى عذاب أبدى ـ ولا دخل لفلسفة الصلب والفداء فى إنقاذ أهل الشر أو إهلاك أهل البر .

ولا يبقى مقياساً لميزان الدينونة سوى ما ينطق به الكتاب من حق ـ بعيداً عن الصلب ومشتقاته ـ فيقول :

« الإبن لا يحمل من إثم الأب ، والأب لا يحمل من إثم الابن .

بر البار عليه يكون وشرا الشرير عليه يكون ـ حزقيال ١٨ : ٢٠ »

٣ ـ ويقول يعقوب فى رسالته أن الدينونة التى تحدد المصير الأبدى للانسان تقوم على ركيزتين هما : إيمان بالله الواحد ، يصحبه عمل صالح ، وبدونهما لا فائدة ترجى .

وأن كلامنهما لا علاقة له بالصلب وسفك الدم من قريب أو بعيد :

« أنت تؤمن أن الله واحد . حسنا تفعل . والشياطين يؤمنون ويقشعرون

ولكن هل تريد أن تعلم أيها الإنسان الباطل أن الإيمان بدون أعمال ميت .. بالأعمال يتبرر الإنسان لا بالإيمان وحده ـ ٢ : ١٩ ـ ٢٤ » .

ان « الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب هى هذه : افتقاد اليتامى والأرامل فى ضيقتهم وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس من العالم ـ ٢ : ٢٧ »

ان ذلك ما شرعه الله : « واحد هو واضع الناموس ، القادر أن يخلص ويهلك ـ ٤ : ١٢ »

من ذلك ـ وغيره كثير وكثير جدا ـ نتبين أن الخلاص الحق لا علاقة له بالصلب على الإطلاق .

★★★

ما ترتب على نظرية بولس فى الصلب

لقد ظهر فى القرن الثانى تلميذ شهير لبولس هو مركيون، الذى كان يعتقد « **بان إله اليهود الذى اعطى الناموس (لموسى) وخلق العالم . كان فى الحقيقة الهاشريرا !!** »

أما إله المحبة فقد ظهر فى المسيح — ولقد وضع مركيون إله المحبة فى تعارض ضد خالق العالم »

كذلك اعتقد مركيون أن « الاثنى عشر رسولا الذين اختارهم المسيح لم يفهموه .. ولهذا فإنهم أعلنوا إنجيلا يخالف إنجيل بولس ، فقد اعتقدوا خطأ أن إله الخلق هو أب يسوع المسيح ..

من أجل ذلك فإن المسيح ألهم بولس بوحى خاص حتى لا يضيع إنجيل نعمة الله عن طريق التزوير » .

ويبلغ ضلال هذه المعتقدات مداه حين تروى لنا محاكمة تجرى بين يسوع ورب المخلوقات — إله موسى — فتقول : « نزل يسوع إلى رب المخلوقات فى هيئة لا هوته ، ودخل معه فى قصاص بسبب موته (قتلا على الصليب) ..

قال له يسوع : إن الدينونة بينى وبينك . لا تدع أى شخص آخر يكن قاضيا ، إنما شرائعك ذاتها تقضى لى ..

ألم تكتب فى ناموسك أن من قتل تقتل ؟

وعندئذ أجاب (إله المخلوقات) : لقد كتبت هذا . .

قال له يسوع : سلم نفسك إذن ليدى . .

قال خالق العالم : لأنى قد ذبحتك فأنى اعطيك عوضا . كل أولئك الذين يؤمنون بك تستطيع أن تفعل بهم ما يرضيك .

وعندئذ تركه يسوع ، وحمل بولس بعيدا ، وأراه الثمن ، وأرسله ليكرز بأننا اشترينا بهذا الثمن . وإن كل من يؤمن بيسوع قد بيعوا عن طريق هذا الإله العادل إلى الإله الطيب »(٧٣) ! ! !

ان هذا الضلال الذى يجلب العار لكل المؤمنين بكتب الله ورسالاته ، لايحتاج إلى تعليق .

* * *

نتائج بحث قضية الصلب

لقد درسنا عددا من الموضوعات الهامة التى تشتمل عليها قضية الصلب ، وخرجنا عقب دراسة كل موضوع ، بل وعقب دراسة كل عنصر من عناصرها المختلفة بنتائج محددة . وفى تجميع لهذه النتائج نستطيع أن نبلور نتيجة هذه الدراسة كما يلى :

١ ــ **اختلفت روايات الأناجيل الأربعة فى أحداث الصلب :** فقد اختلف الرواة فى مقدمة الأحداث مثل قصة مسح جسد المسيح بالطيب وقصة خيانة يهوذا . كذلك اختلف الرواة فى العشاء الأخير وكيفية التحضير له وتوقيته ودور يهوذا وما قيل عن شك التلاميذ الذى تنبأ المسيح بوقوعهم فيه فى تلك الليلة الأخيرة ، واختلفت الأناجيل فى الليلة الأخيرة واحداثها ، وإن كان هناك اتفاق على أنه فى قمة المحنة التى تعرض لها المسيح « تركه التلاميذ كلهم وهربوا » .

واختلفوا فى المحاكمات وأعدادها وزمانها ومكانها ، كما اختلفوا فى قصة انكار بطرس وكان الخلاف حادا فى الصلب وأحداثه السابقة واللاحقة ، ولعل أخطر خلاف وقع هو ما قيل عن توقيت الصلب ويومه . فقد تأرجح ذلك من يوم الخميس على أحد الأقوال ويوم الجمعة على أقوال أخرى.

وكما أختلفوا فى الصلب فأنهم أختلفوا فى الدفن .

لقد أختلفت روايات الأناجيل فى أحداث الصلب اختلافا يكفى لتنحية شهاداتها عن ذلك الحادث جانبا .

*

---

(٧٣) المرجع ١٣ ــ الجزء الأول ــ ص ٢٧٢ ــ ٢٨٠

٢ — **واختلفت الروايات التى ذكرت عن نهاية يهوذا** ، وإن كانت قد اتفقت على أنه هلك فى أعقاب حادث الصلب وفى ظروف غامضة تناظر ما قيل عن هلاك بيلاطس الحاكم الرومانى . وهذا الأخير ذكرت بعض الروايات أنه مات ميتة القديسين والشهداء ، بينما قالت رواية أخرى أنه مات ميتة الشياطين .

*

٣ — **وفى شتى المناسبات رأينا المسيح يرفض كل محاولة لقتله** يقول لليهود : لماذا تطلبون أن تقتلونى ؟ . « وعند المحاكمة كان المقبوض عليه يقول لمحاكميه : « ان سألت لاتجيبوننى ولا تطلقوننى » .

بل فى النزع الأخير نجد ذلك المصلوب يصرخ فى يأس وحسرة قائلا « إلهى إلهى لماذا تركتنى ؟ !! » .

*

٤ — ويكفى أن نورد فى موضوع **تنبوءات المسيح بنجاته من القتل** — قوله : « ستطلبوننى ولا تجدوننى وحيث أكون انا لاتقدرون أنتم أن تأتوا » .

*

٥ — وأما عن **تنبوءات المزامير بنجاة المسيح من القتل** ، فقد ظهرت فيها الحقيقة بأوضح ما تكون مؤكده جميعها نجاة المسيح « لأن الرب يحفظه ويحييه يغتبط فى الأرض ولا يسلمه إلى مرام أعدائه » .

وكذلك قال المزمور على لسان المسيح : « لا أموت بل أحيا . . إلى الموت لم يسلمنى » . أما يهوذا الخائن فإنه « سقط فى الهوة التى صنع ، يرجع تعبه على رأسه وعلى هامته يهبط ظلمه » . وذلك لأن : « الرب قضاء أمضى : الشرير يعلق بعمل يديه » لقد صلب يهوذا ، فهكذا تتنبأ المزامير .

*

٦ — **ولقد اختلف المسيحيون الأوائل فى صلب المسيح** : اختلفوا فيه كحادث فقال بعضهم : ماصلب المسيح ولكن صلب أحد تلاميذه . كذلك اختلفوا فى الصلب كنظرية تتكلم عن الفداء والخلاص ، فرفضه الرافضون

وقالوا أن الانسان يعتمد على ركيزتين اثنتين هما : إيمان بالإله الواحد خالق الأكوان ، وعمل صالح يثبت ذلك الإيمان ويصدقه . وما عدا ذلك فهو ضلال وضياع .

*

أما بعد — فتلك هى خلاصة النتائج التى انتهى إليها بحث قضية الصلب ، وهى تبين أن الصلب يعتبر بحق قمة فى مجموعة المشاكل التى تحتويها الأناجيل .

انه مشكلة رئيسية يكمن حلها فى عقل القارىء وضميره . وهو يستطيع حلها بسهولة بشرط الا يكون من الذين قال عنهم المسيح :

« تمت فيهم نبوءة اشعياء القائلة . تسمعون سمعاولا تفهمون. ومبصرين تبصرون ولا تنظرون . لأن قلب هذا الشعب قد غلظ ، وآذانهم قد ثقل سماعها . وغمضوا عيونهم لئلا يبصروا بعيونهم ويسمعوا بآذانهم ويفهموا بقلوبهم . ويرجعوا فأشفيهم » .

***